

تناول الشعراء الذين عاصروا الدولة الفاطمية، موضوعات شعرية متنوعة، افنتوا بموضوعات متعددة خلال ثلاثة قرون إلا رُبعا من عمر الدولة الفاطمية من

(٢٩٦-٥٥٥هـ).

لقد بلغ عدد الشعراء الذين عاصروا الدولة الفاطمية (٣٨) ثمانية وثلاثين شاعراً مشهوراً، كان عدد الشعراء المصريين (٢٠) عشرين شاعراً، و(١٨) ثمانية عشر شاعراً وافداً إلى مصر من المغرب و المشرق، ومنهم من كان معاصراً لم يصل إلى مصر، ولكن حركة التشيع قد وصلت إليه فأدلى بها دلو، استحساناً أو استقباحاً، وقد تكفل بدرج أسمائهم، وأنموذجات من أشعارهم، ونبيذ من سير حيواتهم، الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام (٢٥٢) يكتب الموسوم ب " الأدب في العصر الفاطمي - الشعر والشعراء - بما لا يقل عن (٥٠٠) خمسمائة صفحة من القطع الكبير.

لقد تنوعت موضوعات شعرهم، من مدح وهجاء، وغزل ونسيب، ووصف لمعالم الطبيعة، ومراسلات، مما تجدها مطروقة فنونا متنوعة قديمة في تراثنا من قبل.

وتجد بعض الشعراء يتكسبون بالشعر، ربما لقلّة مواردهم المالية، ولأسباب أخرى ذكرتها، منهم من مشارق الأرض ومغاربها يمدح الخلفاء والوزراء وأعيان الدولة وقضاتها، متكسباً، وبعضهم مال إلى الهجاء، فهجا الوزراء والقضاة والخلفاء أحياناً.

أمّا البارز في موضوعات الشعر فالدعوة إلى تأييد الحركة الشيعية الباطنية للخلافة الفاطمية، وحثّ الخلفاء عليها، يؤيدهم في حركتهم هذه وزراء لهم وقضاة، ويدعون لنشرها، بالسنتهم وأقلامهم، ويشجعون الشعراء لنشر المذهب الفاطمي في كلّ مكان.

ولعلّ من أبرز موضوعاتهم الشعرية على كثرتها أن يبينها المشجر التالي:

(١) (٢) (٣) (٤) (٥)

العقيدة الفاطمية العقيدة الفاطمية المراسلات وصف السفن موضوعات

ومفهومها من خلال الشعر شعرية أخرى

أما العقيدة الفاطمية فهي منسوبة إلى فرقة شيعية إسماعيلية، نسبة إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق (٢٥٣) قال الفاطميون بنبو محمد عليه الصلاة والسلام، ووصاية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (٢٥٤)، وإمامة ابنه الحسن فالحسين فزين العابدين، فمحمد الباقر، فجعفر الصادق، فهم ينفقون مع الشيعة الاثني عشرية في تسلسل الإمامة هذه، وبعد وفاة جعفر الصادق سنة (١٤٨) مائة وثمان وأربعين، انقسمت الشيعة الإمامة إلى الإسماعيلية، وهي الفرقة التي قالت بإمامة إسماعيل بن جعفر فأبنه محمد إسماعيل فأئمة "دور السّتر" وهم عبد الله بن محمد، فأحمد بن عبد الله فالحسين بن أحمد (٢٥٥).

وللأئمة عند الفاطميين دوران هي: دورٌ مستور يمثله الإمام المستور ودورُ الظهور، احتلَّ عبيدُ الله المهدي دوره مؤسساً للدولة الفاطمية، وذهب الفاطميون إلى أنَّ الإمامة تنتقل من الآباء إلى الأبناء، ولا تنتقل من أخ إلى أخ بعد انتقالها من الحسن إلى الحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والأب ينصُّ على ابنه في حياته، وهذه العقيدة أصلٌ من أصول المذهب في تسلسل الإمامة عند الفاطميين.

وقد أوَّل الفاطميون قول الله تعالى: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) (٢٥٦) بأنَّ الله تعالى لا يترك العالم خالياً من إمام ظاهر مكتشف، أو باطن مستور، تنتقل الإمامة إليه بعد أبيه الإمام علي بن أبي طالب.

والإمام حُجَّةُ الله على عباده، وهو هاديهم إلى الطريق القويم، وعندهم أن الولاية هي أحد أركان الدين القويم.

والولاية عند الفاطميين هي الأصل الذي يدور عليه موضوعُ الفرائض، وهذا الرأي يقول به الشيعة الإمامية جميعاً، وحجتهم قصة تُروى عن النبي الكريم أنه نزل عند "غدير خم" (٢٥٧) يوم الثامن عشر من ذي الحجة بعد أن أدى حجة الوداع وهناك أنزل عليه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (٢٥٨) فذهب الشيعة إلى أنَّ النبي الكريم صدغ بأمر ربِّه، وأمر بالصلاة، فلما فرغ منها، أخذ بيد الإمام علي وقال: "ألستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: من كُنْتُ مولاه، فعليُّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله، وأدبر الحقَّ معه حيث دار" (٢٥٩)

وقد فصل القول وأسهب في هذه المسألة الدكتور محمد كامل حسين (٢٦٠) جزاء الله خيراً.

ولعلَّ من أبرز قاعدة التأويل عند الإسماعيلية، هي تطبيق نظرية المثل والممثل، فظاهر القرآن عندهم مثل وباطنه ممثل، فنحوا منحى النظرية الأفلاطونية القديمة، وربما عرفوا ذلك من حركة الترجمة، التي حدثت في عصر المأمون العباسي وبعده.

وفي العقيدة الفاطمية أنَّ "وجه الله" و "يد الله" و "جنب الله" هم الأئمة، والشمس هي محمد والقمر علي والأئمة، والأهله هم الأئمة. بل ذهب الفاطميون كما ذهب بعض فلاسفة الإسكندرية إلى أنَّ الله أبدع كلمة "اللوجوس" فقالوا هي "كن" من قوله تعالى: (\* إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) (٢٦١) وكلمة كن حرفان هي كاف ونون، ولكنها في التأويل الباطن مثلاً للحدود الروحانية المقربة إلى الله، فالكاف رمزٌ للعقل الأول أو القلم وهو أقرب الحدود إلى الله من حديث الرسول الكريم أول ما خلق الله تعالى القلم.

وأما النون فتعني اللوح وهي رمز للنفس الكلية، وأنَّ الله تعالى، لا يَنْصِفُ بأي صفة فإنه ليس أيساً وليس ليساً، وأنَّ كُلَّ ما جاء في القرآن الكريم من الصفات الإلهية، فهي صفات العقل الأول، وهذه الصفات هي من صفات الإمام، لذا يستطيع بعضهم، أن يفهم من قول ابن هانئ الأندلسي في مدح المُعزِّ لدين الله الفاطمي، بأنه لا يُؤلهه وإنما هذا جزء من عقيدته الفاطمية، وإن كان بعضهم كَفَره لقوله: (٢٦٢)

ما شئت لا ما شاءتِ الأقدارُ فأحكمُ فأنتَ الواحدُ القهارُ

فالظاهر لا يُقبَلُ عندهم بمعزل عن الباطن، ولا الباطنُ ينفَعُ دون الظاهر، لإنهما كالرُوح والجسد. (٢٦٣)

وللفاطميين مراتبُ دعوة، قَسَمُوا العالمَ اثني عشر جزءاً؛ سَمُّوا كُلَّ جزءٍ بجزيرة أو إقليم، وأجزاءهم هي: العرب، والترك، والبربر، والزنج، والحبشة، والخزر، وفارس، والرُّوم، والهند، والصين، والسند، والصقالية. (٢٦٤)

ولكل إقليم حجة، وهو كبيرُ دعاة الإقليم، والمشرفُ على الدعوة، والحجة هذا ينوب عن باب الأبواب في عقد مجالس الحكم وتلاوة المجالس.

ولكلِّ حُجَّةٍ جزيرةٌ ثلاثون داعياً نقيباً، يقومون بهداية الناس، وبثِّ الدعوة في النفوس، ولكلِّ نقيب أربعة وعشرون داعياً مأذوناً مكاسراً، وهو الداعي الذي يشكُّك المسلمين في عقائدهم المذهبية، ويوقع في نفوس المتدينين؛ أنَّهُم على ضلال، ولا يزال بهم حتى يَدُلَّهُم على الطريق المستقيم، فيصبحُ المستجيبُ في زمرة الدعوة.

وحَدَّدوا للداعي الفاطمي صفات هي: سعة العلم، والثقافة، وشدة التقوى والورع، والعمل بأحكام الشريعة، وأن يكونَ حَسَنَ السياسة مع من يَتَّصِلُ بهم.

ويحدِّثنا الداعي أحمد حميد الدين الكرمانلي في كتابه "راحة العقل" عن الحدود الجسمانية للذين إليهم أمر الدعوة، ورثبتهم كما يأتي:

• الناطق وله رتبة التنزيل

• الأساس وله رتبة التأويل.

• الإمام وله رتبة الأمر.

• الباب وله رتبة فصل الخطاب.

• الحجة وله رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً.

• داعي البلاغ وله رتبة الاجتماع وتعريف المعاد.

• الداعي المطلق وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية.

• الداعي المحدود وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة.

• المأذون المطلق وله رتبة أخذ العهد والميثاق.

• المأذون المحدود الذي هو الناشر وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة. (٢٦٥) ويطول البحث، لو تفصينا مصطلحات العقيدة الفاطمية إذ في دراسة الدكتور محمد كامل حسين غناء، فله الفضل الكبير في بحثه و دقة استقصائه (٢٦٦)

أما ما يهمنا حقاً فهو إبراز عقيدتهم من خلال الشعر، نرسمه في جدول تشجيري أولاً ثم نبدأ بالتطبيق عليه ثانياً

العقيدة الفاطمية من خلال الشعر

(١) (٣) (٤) (٦) (٧) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤)  
(١٥)

الخليفة الخليفة الخليفة سلامهم على مقارنة بين الوصي هو الملائكة هم تشييع الإدعاء الطعن  
تفضيل مجالس

والحقيقة حجة وصي جميع الأنبياء خليفة ونبي داعي الدعاة الدعاة ولكن بعلم في نسبهم  
علي على الحكمة

الغيب

المحمدية  
العباس التأويلية

(٢) (٥)

المثل والممثل دلالة "كن" (٨)

من آل النبي

(١)

ال خليفة والحقيقة المحمدية

ذهب بعض الشعراء إلى أنَّ المستنصر الفاطمي، يماثل الحقيقة المحمدية من حيث أنَّ الرسول الكريم هو أولُّ الخلق  
روحاً، وأدمُ أولُّ الخلق جسداً، هذا مما يقوله المؤيد في الدين للمستنصر الفاطمي: (٢٦٧)

قد خُلِقْتُمْ مِنْ طِينَةٍ وَخُلِقْنَا نحن منها لكنْ بدا ترتيبُ

(٢)

المثل والممثل

ويفهم منه أنَّ الخليفة الفاطمي ممثل النبي الكريم، فلا يُقبلُ صومُ صائم، ولا صلاةُ مسلم، ما لم يعتقد بولاية الأئمة كقول  
تميم في أخيه: (٢٦٨)

وإنك أنتَ المصطفى الملوك الذي بطاعته من ربنا نتقربُ

عليك صلاةُ الله ما طلع الضحى وما حنَّ للأوطان من يتغربُ

(٣)

## الخليفة حجة

إذ له رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً، على ما يمدح الأمير تميم به المعز إمامه بصفات باطنية: (٢٦٩)

يا حجة الرحمن عند عباده وشهابه في كل أمر مشكل

من لم يكن في صومه متقرباً بك، فصومه لم يقبل

(٤)

## الخليفة وصي

وهي الرتبة في عقيدتهم تعني دون النبي، وفوق الإمام، كما ينعت الشاعر تميم أخاه الخليفة الإمام العزيز بالله؛ فهو ابن علي، وابن الزهراء، وابن النبي المصطفى، وابن من أدى مشاعر السعي بين الصفا والمروة، ومن طاف بالبيت العتيق فيقول: (٢٧٠)

فيا ابن الوصي ويا بن البتول ويا ابن نبي الهدى المصطفى

ويا ابن المشاعر والمروتين ويا ابن الحطيم ويا ابن الصفا

لقد ذكر مناسك الحج المتعددة، التي تأويلها باطنياً، هي محمد صلى الله عليه وسلم، وبما أن الوصي والأئمة يقومون مقامه بعد وفاته، لذا فهم يوصفون بصفاته كقوله أيضاً: (٢٧١)

وابن الصفا والحجر وابن الهدى وابن نبي الهدى وابن الكتاب

(٥)

دلالة "كن"

وتعني الكافُ عند الباطنية " القلم " وتعني النون " اللوح المحفوظ " ويسمى القلمُ عندهم بالسَّابِق، وهو العقل الكلي عند الفلاسفة، وله صفاتُ العقل وخصائصه، وهو أولُ ما ابتدعه الله تعالى من الحدود الرُّوحانية، وبنظرية المَثَل والممثول فالنبي مثل والقلمُ ممثول، والإمام مثل والقلم ممثول، فبعد وفاة الرسول الكريم، صار الإمامُ ممثولَ النبي، فلنقرأ قصيدةً فيها تأويلات باطنية للمؤيد داعي الدعاة يقول فيها: (٢٧٢)

ما النونُ يا صاحِ ترى والكافُ

إن الذي ظنَّهما حرفي هجا

هل كافلٌ بالأرض والسماء

تفهموا يا قومُ ما الحرفان

ما فاعلُ العالمِ كالمفعول

والكافُ والنونُ اللذان انتظما

وعنهما يأتلفُ الوجود

أنى يكونان من الموات

فالحلقُ ذرٌّ وهما أصدافُ

مستوجبٌ من ذي الحجا كُلَّ هجا

يأعمى حرفان من الهجا

إنَّ نجاةَ المرءِ بالعرفان

كلاً، ولا الحاملُ كالمحمول

صنَعَ الإلهُ منهما والتحما

لمن هو المشاهدُ المشهود

وعنهما منابعُ الحياة؟

فالنونُ والكافُ هما القلم واللوحي، وقد أقسم الله تعالى بهما في غير آية من كتابه، ولا يقسم الخالقُ إلا بذي شأن، وبهما " كُنْ " قامتِ السموات والأرضين، وما فيهما من خلق، فهما ليسا حرفي هجاء فحسب، بل لهما من الأسرار العجيبة وخصائص الكليّ عند الفلاسفة، وتجذُّ مثل هذه التأويلات تستندُ في مراجعتها إلى روح فلسفية ومشوبة بروح إسلامية

السلام على جميع الأنبياء

وتجذُّ في شعر المؤيِّد، داعي الدعاة قصيدةً فيها سلامه إلى جميع الأنبياء والوصيِّ علي بن أبي طالب، والأئمة من ذريته منها قوله: (٢٧٣)

سلام على العترة الطاهرة وأهلاً بأنوارها الزاهرة

سلامٌ بدياً على آدم أبي الخلق باديهِ والحاضرهِ

سلامٌ على مَنْ بطوفانه أُديرَتْ على من بغى الدائره

وتستمرُّ القصيدةُ تصلي على الأنبياء، تصريحاً أو تلميحاً، بأبرز معجزاتهم نحو موسى قاهر فرعونَ بعصاه، وعيسى الذي شرفَتِ الناصرة بمولده، ومحمد المصطفى صاحب الشفاعة الكبرى في الآخرة.

ثم يصلي على الإمام علي حيدرة الحروب، وأبنائه الأنجم الزاهرة، وإلى أن ينتهي بصلاته إلى صاحب القاهرة، الخليفة الفاطمي المعاصر، وراه وجه الإله؛ فنور محمد، كأدوار الأنبياء السابقين له، والأدوار واحدة وأشكالها مختلفة، وعليه فالمستنصر هو آدم، وهو إبراهيم، وهو نوح آخر الأنبياء، والنور الذي تنقل بالأنبياء حل بالإمام، فصفات الخليفة، هي صفات أنبياء، إلا صفة النبوة: (٢٧٤)

سلامٌ على قاهرٍ بالعصا

سلامٌ على الروح عيسى الذي

سلامٌ على المصطفى أحمد

سلامٌ على المرتضى حيدر

سلامٌ عليك فبمحصولهم

بنفسى مستنصراً بالإله

شهدتُ بأنك وجهُ الإله



عُصَاةٌ فَرَاغَتْ جَانِبَهُ  
بِمُبْعَثِهِ شَرُفَتْ نَاصِرُهُ  
وَلِيَّ الشَّفَاعَةِ فِي الْآخِرَةِ  
وَأَبْنَانِهِ الْأَنْجَمِ الزَّاهِرَةِ  
لَدَيْكَ أَيَا صَاحِبِ الْقَاهِرَةِ  
جُنُودُ السَّمَاءِ لَهُ نَاصِرُهُ  
وَجُوهُ الْمَوَالِي بِهِ نَاضِرُهُ

(٧)

مقارنة بين خليفة ونبي

ويُقَارَنُ الْمُؤَيَّدُ بَيْنَ إِمَامِهِ الْمُسْتَنْصَرِ، وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي مُحَاوَرَةٍ بَيْنَ الْمُؤَيَّدِ وَعَدُوِّ مَدَاجٍ لَهُ، جَاءَهُ حَائِراً، وَنَاطِرُهُ، لَكِنَّهُ اقْتَنَعَ أَخِيراً بِدَوْرِ إِمَامِهِ وَفَضْلِهِ، فَإِذَا كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ حَوَى الْمُلْكَ وَالْإِمَامَةَ طِفْلاً، وَإِذَا كَانَ عِيسَى أَحْيَا الْمَوْتَى، فَالْخَلِيفَةُ يُحْيِي النَّاسَ بِالْعِلْمِ، وَإِذَا كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبْرَأَ الْعُمَى، فَالْخَلِيفَةُ يَجْلُو الْعُمَى، إِذَا تَجَلَّى؛ فِي مُحَاوَرَةٍ

منها: (٢٧٥)

وَصَدِيقٍ مِثْلِ الْعَدُوِّ مَدَاجٍ  
جَاءَنِي حَائِراً فَقَالَ بِجَهْلٍ  
إِنَّ عِيسَى قَدْ كَلَّمَ اللَّهَ فِي الْمَهْدِ  
قُلْتُ: هَذَا مَوْلَى الْأَنْبِيَاءِ مَعْدُ  
قَالَ: عِيسَى أَحْيَا الْمَوَاتَى جَهَاراً  
إِنَّ هَذَا مَوْلَى الْإِمَامِ مَعْدُ  
قَالَ: عِيسَى أَبْرَأَ الْعُمَى قُلْتُ:  
قَالَ: حَسْبِي، أَجِبْتَنِي بِجَوَابٍ

تُمَّ وَلَّيَ عَنِي مَقَرًّا بِفَضْلِ

لَا أَرَاهُ إِلَّا عَدُوًّا مُضًّا لَّا

مَا أَرَى الْمَسِيحَ فِي النَّاسِ شَكْلًا

صَبِيًّا وَكَلَّمَ النَّاسَ كَهَلًا

قَدْ حَوَى الْمُلْكُ وَالْإِمَامَةُ طِفْلًا

قُلْتُ: مَهْلًا يَا نَاقِصَ الْفَهْمِ مَهْلًا

هُوَ يَحْيِي بِالْعِلْمِ مَنْ مَاتَ جَهْلًا

مَوْلَايَ مَعْدٌ يَجْلُو الْعَمَى إِنْ تَجَلَّى

بَاطِنِي، بَيَّنْتَ لِي فِيهِ عَقْلًا

لِإِمَامِ الْهَدَى، وَرُحْتَ مُدْلًا

وسواء أكان يحاوره ضالٌّ مضلٌّ، أو عدوٌّ مدلٌّ، أم أنَّ الداعية افترضَ شخصاً يحاوره، فإن المعاني الباطنية معززةٌ بالجدل، هي من وسائل اقتناعه بمذهبه، وهي من وسائل إقناع مناظريه، وإن كان فيها حدةٌ وخشونة، كقوله لمناظره " يا ناقصَ الفهم" وفي القصيدة حوار بينه وبين مناظره، ومقارنة بين إمامه معد وعيسى عليه السلام، إذ إنَّ نورَ العلم عند الإمام، يعادل إشفاء العمى عند عيسى عليه السلام، فالعمى ليس بالبصر فحسب، وإنما بالباصرة أيضاً.

(٨)

الخلفاء الفاطميون من آل النبي الكريم

وابرز الشعْرُ الفاطميُّ عقيدةَ الفاطميين، بأنهم من آل الرسول الكريم،e؛ فذلك تميُّمٌ بِنُ الْمُعَزَّ لَدِينِ اللَّهِ، يخاطبُ أخاه العزيز بقصيدة منها قوله: (٢٧٦)

وَأَنْتَ ابْنُهُ مِنْ نَسْلِ مُرْبِلِهِ وَأَنْتَ خَيْرُتُهُ الْغَرَاءُ مِنْ مُضَرِّهِ

ويذكرُ أنَّ رَوْحَ أخيه قدسية، حُلَّتْ في جسم ترابي، وأنَّ نَفْسَهُ اللطيفة تناسبُ العقلَ الذي سماه، " العلة الأولى " فيقول في القصيدة نفسها:

ما أنتَ دونَ ملوكِ العالمينِ سوى

نورٌ لطيفٌ ينهاي مِنْكَ جَوْهرُهُ

معنى من العلة الأولى التي سبقت

روح من القدس في جسم البشر

تناهياً جازَ حدَّ الشمسِ والقمرِ

خلقَ الهيولة وبسطَ الأرضَ والمدَرِ

وعبد الله الشاعر المعروف بابن حصينة المعري، مدحَ المتنصرَ بالله وخاطبه بابن الرسول وإمام، وكنّاه: (٢٧٧)

ظهرَ الهدى وتَجَمَّلَ الإسلامُ

قَصُرُ الإمامِ أبي تميمٍ كعبةٌ

وابنُ الرسولِ خليفةُ وإمامُ

ويمينه رُكنٌ لها و مقامُ

وفي التأويل الباطني فإن قصرَ الإمام كعبةً والرُّكنُ المقامُ مثْلُ علي الإمام.

(٩)

الوصي هو داعي الدعاة

لأنه ينطقُ عن لسان الإمام، بالحجج الدامغة، والبراهين الساطعة، كما يراها الشاعر غمارة اليميني في مدح الخليفة العاضد: (٢٧٨)

والوحيُّ ينطقُ عن لسانك بالذي من دُونِهِ يُصدِّعُ الجُلُودُ

(١٠)

الملائكة هم الدعاة

وهم جنود الإمام كما قال غمارة اليميني في القصيدة ذاتها: (٢٧٩)

يَوْمٌ جَلَّتْ فِيهِ الإمامَةُ عزَّها ولها الملائكةُ الكرامُ جُنُودُ

(١١)

تشيعُ لآل النبي ولكن

وبرزت أشعارُ بعضهم، يتشيعون لآلِ المصطفى e، ولكنهم لا يرضون بِسَبِّ السلف، شأنُ ولي الدين أحمد بن علي خيران، صاحب ديوان الإنشاء في عهد الظاهر والمستنصر؟ مما يَدُلُّ على سبِّهم السلف كظاهرة في العقيدة الفاطمية أولاً، وبرز شخصية بعض الشعراء في العزوف عن سبِّهم ثانياً: (٢٨٠)

أنا شيعيُّ لآلِ المصطفى

أفصدُ الإجماعَ في الدينِ وَمَنْ

غَيْرَ أَنِّي لَا أَرَى سَبَّ السَّلَفِ

قَصَدَ الإِجْمَاعَ لَمْ يَخْشَ التَّلَافُ

(١٢)

الإِدْعَاءُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ

وَأَبْرَزَ الشَّعْرُ إِدْعَاءَ الْخَلِيفَةِ الْحَاكِمِ بِعِلْمِ الْغَيْبِ، فَأَفْحَمَهُ شَاعِرٌ، بِرَقْعَةٍ وَضَعَتْ عَلَى مَنْبِرِهِ تَتَحَدَاهُ، إِنَّ كَانَ يَعْلَمُ مِنْ كِتَابِهَا  
فَيَقُولُ: (٢٨١)

بِالْظُّلْمِ وَالْجُورِ قَدْ رَضِينَا

إِنْ كُنْتَ أُعْطِيتَ عِلْمَ غَيْبِ

وَلَيْسَ بِالْكَفْرِ وَالْحِمَاقَةِ

فَقُلْ لَنَا كَاتِبَ الْبِطَاقَةِ

(١٣)

الطعن في نسب الفاطميين

وأبرزَ الشعرُ طعوناً في أنساب الفاطميين، ومن ذلك ما كتب شاعر مجهول قطعةً من خمسة أبيات، وُضِعَتْ على منبر العزيز بالله فيها: (٢٨٢)

إِنَّا سَمِعْنَا نَسَباً مُنْكَرًا  
إِنْ كُنْتَ فِيهَا تَدَّعِي صَادِقًا  
وإن تُرِدْ تَحْقِيقَ مَا قُلْتُهُ  
أَوْ فَدَحِ الْأَنْسَابَ مُسْتَوْرَةً  
فإِنَّ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ

يُنْتَلَى عَلَى الْمَنِيرِ فِي الْجَامِعِ  
فَأَذْكُرُ أَبًا بَعْدَ الْأَبِ الرَّابِعِ  
فَأَنْسِبُ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّالِعِ  
وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ  
يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ

(١٤)

تفضيل عليّ على العباس رضي الله عنهما

وأبرزَ الشعرُ تفضيلَ الفاطميين عليّ بن أبي طالب، على عمِّه العباس رضي الله عنه، وإن كانا من أصلٍ هاشمي، لكنّ علياً عندهم قمر، والعباسيون نجوم، كما هو في قول داعي الدعاة الفاطمي: (٢٨٣)

يا بني هاشمٍ ولسنا سواءً  
إنْ نَكُنْ ننتمي لجدِّ فأنا  
ليس عَبَّاسُكُمْ كَمِثْلِ عَلِيٍّ

في صغار من العُلا وكبارٍ  
قد سبقناكم لِكُلِّ فَخَارٍ  
هل تُقَاسُ النُّجُومُ بالأقمار؟

ويؤكِّد تفضيلَ عليٍّ على العباس الشاعِرُ تميمُ بن المُعَزِّ لدين الله الفاطمي، فيرى علياً رضي الله عنه، أسبقَ إسلاماً من العباس، وأوَّلَ هادمٍ للأَنْصَابِ، وأنه كان سيف النبي، وعلى هذا فسبق العباس يقول: (٢٨٤)

ألا قُلْ لمن ضلَّ من هاشمٍ  
أَوْسَاطُهَا مِثْلُ أَطْرَافِهَا  
وأولُّهَا مؤمناً بالاله  
أعبَّاسُكُمْ كانَ سيفَ النبي  
أعبَّاسُكُمْ كانَ في بدره  
أعبَّاسُكُمْ كوصي النبي

ورام اللِّحاقَ بأربابِها  
أرغوسُها مِثْلُ أذُنابِها؟  
وأوَّلَ هادمٍ أنصَابِها

إذا أبدتِ الحربُ عن نايها؟

يذودُ الكتائبُ عن غايها؟

ومعطي الرّغابِ لطلّايها؟

(١٥)

#### مجالس الحكم التأويلية

وبرزت مجالسُ الحكمة التأويلية، في العصر الفاطمي، يتصدّرُها داعي الدعاة ونوابه في الجزائر، التي ذكرنا من قبل، وهي محاضرات تُلقى على جمهور المؤمنين، يَبْتَثُ فيها الداعي عقائد مذهبهم والتأويلَ الباطني للدين، وكانوا يَدْعُونَ أن فيها علومَ أهل البيت، وهي أسرارٌ مدفونة في صدور العلماء، لا يبوحون بها لأحد، ولهذه المجالس درجاتٌ، لكل طبقةٍ مجلس؛ فللعامة مجلس، وللخاصة مجلس، وللنساء مجلسٌ، ومجالسُهم متعدّدة المستويات، فالمتقدّم يتلقّى ما لا يتلقّاه المبتدي، والغريب، وكان يُطلقُ على داعي الدعاة، " باب الأبواب" و " باب حِطّة" و " الحُجّة" وكانت المحاضرات موقعةً من الخليفة، وكان الداعي، إذا أنهى محاضرتَه مَسَحَ على رؤوس الناس بعلامة الإمام تبرُّكاً بها.

وكانت تبدأ هذه المجالس بحمد الله والصلاة على رسول الله، والأئمة من نسل علي، ويختتمها الداعي بوعظ وإرشاد، ثم يبدأ بتأويل آية من آيات الله أو حديث نبوي، أو أثر عن الأئمة، أو يؤوّل شيئاً من فرائض الدين، ويختتم مجلسه بالدعاء والصلاة والحمد، وكان له موعدان أسبوعياً هما: يوم الاثنين والخميس، وكان يوم الخميس للخاصة فيقول المؤيد فيه: (٢٨٥)

يا صباحَ الخميس أهلاً وسهلاً

أنتَ عيدٌ للمؤمنين عَتِيدٌ

نحن نجني ثمارَ جَنَّةٍ عَدْنٍ

من رياضٍ أنهارُها جارياتٌ

تتروّى الأرواحُ منها بماءٍ

رتبُهُ خَصَّنَا بها صاحبُ العص (م)

زادك الواحدُ المهيمُ فضلاً



جمع الدين منهم فيك شملا

كلما أقبل الخميس وولى

وبها الحور في المقاصر تجلى

هو أشفى من الزلال وأحلى

ر أمين الإله عز وجل

وثمة ثلاثة كتب للحكمة التأويلية؛ الأول: كتاب المجالس المؤيدية ويحتوي على (٨٠٠) ثمانمائة مجلس، من مجالس التأويل في الفلسفة، والثاني للقاضي النعمان ابن محمد، كان يختص بتأويل فقه الفاطميين، أمّا المجالس المستنصرية ثالثاً فاختصت بالتأويل الابتدائي لمجالس التأويل (٢٨٦).

وللتمثيل على أحد المجالس، فإن في المجلس العاشر من الجزء السابع من تأويل دعائم الإسلام للقاضي النعمان دليلاً؛ فقليل الاستشهاد فيه، يغني عن كثير منه:

بدأ المجلس بالبسملة والحمدلة، والصلاة والسلام على النبي محمد، والأئمة من ذريته، فيقول في مقدمة مجلسه: " بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جلّ عن تقدير المتوهمين، وأطف عن لطيف بحث المتوسمين، وصلى الله على محمد النبي وعلى الأئمة من ذريته الطاهرين"

وبعد هذه المقدمة يستأنف حديثاً تقدّم ذكره في المجلس السابق، وموضوعه أهمية الاستباق، إلى الصفّ الأول على ما يرويه عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وما أفضليته الصفوف الأول؟ ولماذا؟ قال " ثم إنّ الذي يتلو ما تقدّم ذكره ما جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: " أول الصفوف أفضلها، وهو صفّ الملائكة، وأفضل المقدم ميامن الإمام" وبدأ بتأويل قول عليّ قال " تأويله ما تقدّم القول به من أمثال الصفوف في الصلاة، أمثال درجات المستجيبين إلى دعوة الحق، على مقادير فضلهم وسبقهم، وأنّ أمثال الملائكة من الناس، أمثال المالكين أمور العباد، وهم أولياء الله من رسله، وأئمة دينه"

ثم يُفسّر لهم لغة معنى الرسالة والرّسول، ومن مادة ملك وألك يعرّز ذلك بآية من كتاب الله فيقول: " والملك والملائكة فيما ذكر أهل اللغة الرسالة، والألوك والمالكة في لغة العرب الرسالة وقد قال الله جلّ وعلا: (\*) الله يصطفي من الملائكة رُسلًا ومن الناس ( ٢٨٧)

وقصدّه أنّ يعادل الملائكة بالرّسل، بعد أن احتجّ بقوله تعالى في رسل الله من ملائكة وبشر، واستأنس بلغة العرب في المعنى المشترك لهما.

ثم يوجّه المتلقين إلى أهمية الصفّ الأول، ومن الذي يقف خلف الإمام في الصفّ الأول؟ ولماذا؟ فيقول: " فالصفّ الأول من صفوف ظاهر الصلاة، لا ينبغي أن يقف، إلا أفضل أهل المسجد من علمائهم، كما قال رسول الله e: " ليلني منكم أولو النّهي والعلم" وينبغي أن يكون على يمين الإمام في الصف، من خلفه، أفضلهم، ومن يصلح أن يكون إماماً، إن حدث به حدث؛ يوجب خروجه من الصلاة؛ لأن انصرافه إذا انصرف من الصلاة إنما يكون عن ذات اليمين، فيكون من يقدمه

هناك، فيأخذُ بيده ويقدمه مكانه، وعلى هذا تجري مراتبُ أهل الدعوة في حدودها، أن يكونَ الذين يلونَ القائمَ بها في الدرجة التالية، من درجات المؤمنين؛ الذين هم أهلها، وأن يكونَ أقربُهم منه عن يمينه، وهي أفضل درجاتهم، من يصلحُ لمقامه من بعده".

إنه يبيّن لهم أهمية الصفوف الأولى، في الصلاة، ومن الذين يكونون عن يمين الإمام، والسبب في ذلك، بأسلوب علمي تفصيلي، وشرح مكثف، لإيصال الفكرة، وليسّجَع على الصفوف الأولى، أهل العلم في المسجد.

ثم ينتقلُ إلى أهمية سدِّ فرَج الصفوف، يعزّزُ ذلك بأمرِ الرسول e، وقول جعفر بن محمد فيقول: "ويتلو ذلك (الصف الأول) ما جاء عنه عليه السلام أنه قال: "سيدوا فرَج الصفوف، ومن استطاع أن يتمم الصفَّ الأول أو الذي يليه فليفعل، فإن ذلك أحبُّ إلى نبيكم، وأتموا الصفوف، فإن الله وملائكته يصلُّون على الذين يتمُّون الصفوف، وعن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه قال: "أتموا الصفوف، ولا يضرك أن تتأخّر، إذا وجدت تضيقاً في الصفَّ الأول، فتتم الصفَّ الذي خلفك، وإن رأيت خللاً أمامك، فلا يضرك أن تمشي منحرفاً حتى تسدّه يعني وهو في الصلاة".

ويعزّزُ مجلسه، وصحّة قوله بحديث الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه عن وصل الصفوف، ومحاذاة المناكب، حتى لا يتخلّل الشيطانُ صفوف المصلّين، فيقول: "عن رسول الله e أنه قال: "صلوا صفوفكم، وحاذوا بين مناكبكم، ولا تخالفوا بينها فتختلفوا، ويتخلّلكم الشيطان، كما يتخلّل أولاد الحذف" فتعديل الصفوف، وسدُّ ما بينها من الفرج، وتماّمها، واعتدال وقوف القيام فيها من شروط الصلاة وحدودها في الظاهر".

ثم يعودُ إلى هذه الهيئة في الباطن، فيراها معادلة لها فيقول: "ومثله في الباطن اعتدال أهل الدرجات، في دعوة الحق، على درجاتهم وحدودهم، التي حُدث لهم، لا يتجاوزُ أحدٌ منهم حدّه إلى غيره".

هذه هي بعض ما وردَ في المجلس العاشر، عن صفوف الصلاة، ومن الذي ينبغي له أن يتقدّم الصفوف وأين؟ ولماذا؟ يُعزّزُ ذلك بآيات قرآنية، أو أحاديث نبوية شريفة، وأقوال الصحابة، ليزيد حُجّته حجة، وبياناً إلى بيان، في مجلس متضامّ الهدف، في سبكة لغوية قوية، معزّزة بالحجّة والبرهان، لإفهام المتلقين بأسلوب مقنع، وشرح مفصّل، لما يطرأ في مجلسه من مفردات لغوية، يُفسرُها، ليعزّزَ بها حديثه في المجلس بقوة حُجّة ونصاعة برهان.

- ٣ -

المراسلات

وأفرزَ شعرُ العصر الفاطمي رداً شعرياً على رسائل تصلُّ إليه، ذلك شأنُ الشاعر ابن أبي البشار، أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الثابت الأصفلي الشاعر، الذي ردَّ على رسالة أرسلت إليه، بأن أبلغ عن وصول الكتاب إليه، وفَضَّه ولثمه، ولثَمَ حروفه، بعد أن قرأه وفهمه، وسرَّبه، ونقده فأعجب به، وشبَّهه بروض باكره المطر؛ ففتحت أزهارُه، وهو كالعقد، فُصِّل لؤلؤاً وزبرجداً ودرّاً يقول: (٢٨٨)

وصلَ الكتابُ وكان آنسَ وأصلِ

فَفَضَّنُهُ وجعلتُ ألثُمُ كُلَّ ما

وَقَهْمْتُ مُودَعَهُ، فَرُحْتُ بِغِبْطَةٍ

وعجبتُ من لفظٍ تناسَقَ فيه ما

كالرَّوَضِ باكره الحيا فتَقَنَّنْتُ

كالعَفْدِ فُصِّلَ لَوْلَوْ أنَّ وَزَبَرَ جداً

عندي وأحسنَ قادمِ ألقاهُ

كَتَبْتُهْ أو صارتُ عليه يداهُ

جدلانَ مِبْتَهِجاً بما أدَّاهُ

أَعْلَاهُ، ما أحلاه ما أَجْلَاهُ!

أزهارُهُ وتضَوَّعَتْ رِيَّاهُ

فتقابلتُ أولاهُ مع أُخْرَاهُ

(٤)

وصف السفن

زخرَ الأدبُ الفاطميُّ بوصفِ السفنِ وأنواعها؛ شكلاً، وقوةً، فمنها الحرَّبيَّةُ، ومنها التجاريَّةُ، ومنها ما كان للرحلات  
فحسبُ، ويُعرَى ذلك، لوقوع مصرِ الفاطمية، على بَحْرِ النَيلِ، الذي يَمُخِّرُها من الجنوبِ إلى الشمالِ، بدلتاه وفروعه  
المختلفة، فمصرُ هِبَةُ النَّيْلِ، ينضافُ إلى سواحلها البحريَّةِ على البحرِ الأحمرِ

( القُلْزُمُ ) من جهة الشرق، بدءاً من أيلة والسويس شمالاً إلى خليجِ عدن جنوباً، وإلى منتصفِ سواحلِ بَحْرِ ( القُلْزُمِ ) من  
الجهة الغربية للبحرِ ذاته، وسواحلِ البحرِ المتوسطِ ( بحرِ الرُّومِ ) من ساحليه الجنوبي كاملاً والشرقي جميعها ينضافُ  
إليهما بَرُّ خليجِ إنطاكية، من الجهة الشمالية الشرقية، وساحلُ الأطلسِ من جهة موريتانيا اليوم، وجزيرتا صِقلية وسردينية  
شاهدتانِ على بَصَماتِ الفاطميين فيهما (٢٨٩)

أَمَّا الحَرَبِيَّةُ فَهِيَ سُفُنُ الْأَسْطُولِ الَّتِي صُنِعَتْ خَصِيصاً لَغَزْوِ الْعَدُوِّ، عَلَى سَوَاحِلِهَا الطَّوِيلَةِ، وَكَانَتْ تُشْحَنُ بِالْأَسْلِحَةِ وَالْأَلَاتِ وَالْمِقَاتِلَةِ، وَكَانَتْ تَمُرُّ مِنْ ثَغْرِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَدَمِيَّاطَ وَتَنْيْسَ وَالْفَرَمَا مِنْ مِصْرَ، وَمِنْ ثَغْرِ طَرَابُلُسَ وَصِيدَا وَصُورَ، فِي السَّاحِلِ الشَّامِيِّ، بِغِيَةِ أَنْ تَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَتَصُدَّ أَسَاطِيلَ الرُّومِ، وَهِيَ عِدَّةُ أَنْوَاعٍ أَهْمُهَا:

الحربيات

الحرائق

الشواني

أَمَّا الشَّوَانِي الْحَرَبِيَّةُ، فَجَمْعُهَا شَيْنِي أَوْ شُونَةُ، وَمَعْنَاهَا فِي التَّاجِ لِلزَّبِيدِيِّ (٢٩٠) الْمَرْكَبُ الْمُعَدُّ لِلجِهَادِ فِي الْبَحْرِ، وَجَمْعُهَا شَوَانِي لَهْجَةً مِصْرِيَّةً، وَالشَّوَانِي مَرَاكِبُ طَوِيلَةٌ، مُتَوَسِّطُ مَا يَحْمِلُهُ الشَّيْنِيُّ الْوَاحِدُ (١٥٠) مِائَةً وَخَمْسِينَ رَجُلًا، وَيَجْدَفُ بِمِائَةِ مَجْدَافٍ (٢٩١) كَانَتْ تَسْمَى أُغْرِبَةً، لِسَوَادِهَا كَالْغُرْبَانِ، وَكَانَتْ تُطْلَى بِالْقَارِ، مَنَعًا مِنْ نَفَازِ الْمَاءِ إِلَيْهَا، وَلَكِنْ قَلَّوَعُهَا بِيضٌ، كَمَا يَقُولُ عَنْهَا ابْنُ الْأَثَرِ فِي وَصْفِهِ؛ بِأَنَّهَا تَشْبَهُ بِنَاتِ الْمَاءِ فِي سَبَاحَتِهَا، وَتَطْفُو عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ، وَالرَّيْحُ تَحْرُكُهَا، فَتَطِيرُ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ كَالْغُرَابِ فِي الْفَضَاءِ، وَمَجَادِيْفُهَا بَيْضٌ كَرِيشِ الْحَمَامِ الْأَبْيَضِ، مَدَهُونَةٌ مِنْ دَاخِلِهَا بِالْقَطْرَانِ، مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ جِرَاءً، فَلَمَّا ذَاتَ دُهْنٍ إِذْنَ؟ تَسْمَى غُرَابًا لِسَرْعَتِهَا وَلَوْنِهَا، وَصَدْرُهَا كَصَدْرِ الشَّاهِينِ:

فيقول ابن الأثير: (٢٩٢)

يَا حَبْدَا مِنْ بِنَاتِ الْمَاءِ سَابِحَةً

تَطِيرُهَا الرِّيحُ غُرْبَانًا بِأَجْنَحَةِ الْ

مِنْ كُلِّ أَدْهَمٍ لَا يُلْفِي بِهِ جَرَبٌ

يَدْعَى غُرَابًا وَلِلْفَتْخَاءِ سُرْعَتُهُ

(م)

تَطْفُو لَهَا شَبُّ أَهْلِ النَّارِ تَطْفِئُهُ

حمائم البيض للإشراك ترزؤه

فما لراكبه بالقار يهنؤه؟

وهو ابن ماء وللشاهين جوجؤه

وتلحظ في النص أن هذا الصنف من السفن، متخصص لحرب المشركين، في البحر، وكان من واجب الشواني أن تقذف النار الإسلامية، على سفن العدو فتحرقها، ولا تنطفئ النار فوق سطح الماء على ما يشهد ابن حمديس الصقلي، في قصيدته التي منها يخاطب ممدوحه: (٢٩٣)

أنشأت شواني طائفة

ترمي ببروج إن ظهرت

وينفط أبيض تحسبه

ضمن التوفيق لها ظفراً

ببروج قتال تحسبها

وبنيت على ماء مدنا

لعدو محرقه بطناً

ماء وبه تذكى السكنا

من هلك غداك ما صننا

في شم شواهقها قننا

أما الحرائق جمع حارقة، فهي مراكب حربية، يعبر اسمها عن وظيفتها في إحراق سفن العدو بالنفط (٢٩٤) وكان يجذف بها مائه مجداف، وقد وصفها الشاعر عبد الله بن حداد؛ بأن مجاديفها حولها كأهداب العيون، تحمل ناراً وتقذفها على العدو فتحرقه: (٢٩٥)

ذاتُ هُذْبٍ من المجاديفِ حاكٍ

حُمَّ فوقَها من البيضِ نارٌ

هُذْبٌ بالكِ لدمعهِ إسعادٌ ُ

كلُّ من أرسِلْتُ عليه رَماذُ

لقد عرفَ المسلمون النارَ الإسلامية، رداً على النَّارِ الإغريقية، فكانت تحرقُ سفنَ الرُّومِ، ولا يُطفئُها الماء، ذلك الذي وظَّفه البحري في قصيدته الرائية يمدح بها أحمد بن دينار سنة ٢٢٧هـ، قبل ابن حمديس بقرنين ونصف منها قوله: (٢٩٦)

إذا رشَقُوا بالنَّارِ لم يَكْ رَشَقُهُمْ      لِيُقْلَعَ إلا عن شِواءٍ مَقْتَرٍ

أما الحربيَّات فمفردها حَرَبِيَّة، وهي نوعٌ من الشواني، ولكنها أصغرُ حجماً منها، وتمتازُ بسرعة حركتها، وخفَّة وزنها، كانت تُصنَّع في دارِ صناعة الرُّوضة (٢٩٧) وقد وصفها ابنُ حمديس الصقلي، بأنها ترمي عدَّوها بالنفط الحارق، وهي بلونين أحمر اللُّبود، وسود القطران الذي يطليها، والدخان المنبعث من قذائفها يُعادل نباتَ الزنج السوداء الألوان المشوبة بحمرة فيقول: (٢٩٨)

يخوضونَ بحراً كلَّ حينٍ إليهم

وحربيَّة ترمي بِمُحَرِّقِ نَفْطِها

تراهُنَّ في حُمُرِ اللبُودِ وصُفْرِها

إذا عَثْنَتْ فيها التَّنائيرُ خَلَّتْها

ببحرٍ يكونُ المَوْجُ فيه فوارسا  
فيغشى سعوَطُ الموتِ فيها المعاطسا  
كمثلِ نباتِ الرَّنَجِ زُفَّتْ عرائسا  
تفتَحُ للبركانِ عنها منافسا

فنلاحظ من النصِّ السابقِ فوائدَ عدةٍ منها؛ أنَّ هذا النوعَ من السفنِ حربيٍّ، مَجَّهزٌ بمواقِدَ للنفطِ كالأفرانِ، له رائحةٌ دخانٍ كريهةٌ عند انطلاقه، فتغشى أنوفَ الخصومِ بموتِ كَرِيهِهِ، عليها لبودٌ من داخلها، أسودٌ مشوبٌ باصفرارٍ، يعادل لونَ زنجيةِ عروسٍ، زُفَّتْ بلباسٍ أصفرٍ، على جسدٍ أسودٍ، وواجب اللبودِ حمايةُ السفينةِ (٢٩٩) أما بطن السفينةِ فأَسودُ من قَطْرانِ تطلّى به، تشوبُهُ مَوَاقِدُ النارِ بلهيبها المصفرُّ المنبعثُ في صورةِ فنيةٍ، تفتَحُ إذا رمته عن بركانٍ كَثُرَتْ منافِسُهُ، وانبعثت منه مكامنُ خطرٍ، وأُنذِرُ بانفجارٍ قريبٍ.

وتستوقفُ ابنَ حمديسٍ رمايةُ حربيةٍ تقذفُ النفطَ على سُفُنِ الأعداءِ، كأنَّ النفطَ زيتٌ مغليٌّ، ينطلقُ في أنبوبٍ، باتجاهِ العُلُوجِ، له خُوارٌ وهديرٌ، ينبثقُ من بركانٍ جحيمٍ، فيه شواظٌ ونحاسٌ، لأرواحِ العُلُوجِ قبل أجسامهم عذابه، فيقول (٣٠٠)

رأوا حربيةً ترمي بِنَفْطٍ  
كأنَّ المُهْلَ في الأنبوبِ منه  
إذا ما شَكَّ نَحْرُ العِلْجِ منه  
كأنَّ منافسَ البُرْكانِ فيها  
نحاسٌ ينبري فيه شُواطُ

لإخمادِ النفوسِ له استعارُ  
إلى شيءٍ الوجوهَ له ابتدارُ  
تعالى بالجمامِ لَهُ خُوارُ  
لأهوالِ الجحيمِ بها اعتبارُ

## لأرواحِ العلوجِ بهِ بوارُ

ونلاحظُ في النصِّ موادَّ حارقةً من نفط وزيت مغلي، وشي وجوه، وانطلاق المقذوف باتجاه نحور العلوج، وأثره عليهم يخورون، من أثر المقذوف كالبقر، فانحرقت نفوسهم قبل أجسامهم.

• ومن السفن الأخرى في العصر الفاطمي يبيّنها التشجير التالي:

(سفن أخرى)

سفن إدارية    مراكب تنزّه واستعراض    الأسطول النهري    سفن جلاب

أمّا من السفن الإدارية فالبطس (جمع بَطْسة) كبيرة الحجم مع عدة طوابق، كانت تزوّد بعدد من القُلوع، يصل عدده إلى (٤٠) أربعين قلعاً (٣٠١) وكانت تستخدم لنقل الأزواد والميرة (٣٠٢) وجاء في أخبار البطس لابن شداد " أنها وصلت من بيروت مشحونة بالالآت والأسلحة والميرة، والرجال والأبطال والمقاتلة، وكان السلطان قد أمر بتعبئتها وتسييرها، من بيروت ووضع فيها من المقاتلة (٦٥٠) ستمائة وخمسين رجلاً، فاعترض لها الانكثار في عدة شوان؛ وقيل كان في أربعين قلعاً، فاحتاطوا بها ) من جميع جوانبها، واشتدوا في قتالها (٣٠٣) ويقول النويري " إنَّ البطسة كانت تتسع لعدد كبير من الجند يصل إلى نحو ٧٠٠ سبعمائة (٣٠٤) ومن السفن الإدارية صغيرة الحجم، يُخصّص لحمل الزاد مثل الأعزازي (٣٠٥) ومنها ما كان يخصص لنقل مياه الشرب، وكانت سعتها لا تقل عن مائة أردب (٣٠٦)

ومن السفن الإدارية الغيطاني والعجزي، وهما مركبان كبيراً الحجم، كانا يحملان عدداً كبيراً من الركاب وأموالاً طائلة (٣٠٧) .

ومن السفن، سفنٌ للتنزّه في نهر النيل، أو لاستعراض الخليفة يومَ فتح الخليج، وقد كان يطلق على هذه السفن والمراكب " اللطاف" لأنها مراكب مكشوفة للسماء، خاصة للكبار والصغار، من عليّة الحكام وزوجاتهم، فقد كانت ستُّ عشاريات، بألوان مختلفة، من ذهبي وفضي وأحمر وأصفر ولأزوردي، وصقلي كانت مكسوة وملونة برعوسها وأعناقها بالأهلة، وقلائد الخرز، فتلك عشاري لأُمّ الخليفة المستنصر بأكثر من ١٣٠ ألف درهم كما كان للخليفة نفسه (٣٦) ست وثلاثون عشارياً يتنزّه بأبها حيث شاء في النيل، ويفتح بإحداها الخليج (٣٠٨).

وكان نهرُ النيل يُتخذُ طريقاً ملاحياً، وللتنزّه والفُرجة، فكان بعض الناس يركبون العشاريات والقوارب، لمتعة النظر إلى ماء وخضراء، ذلك ما أنشده الأمير تميم بن الخليفة المُعزّ لدين الله الفاطمي: (٣٠٩)

يوم لنا بالنيل مختصرٌ

والسفنُ تجري كالخيول بنا



ولكلّ يومٍ لَذَاةٍ قِصَرُ  
صَوْرًا، وجيشُ الماءِ مُنَحْدِرُ

وفي النّيل، أنشدَ ابنُ فضل الله العمري، (٣١٠) فصورَ نيارَه المنصبَّ، وعليه سفائنُ كالجمال، سوداءُ اللون، حَرَاقةٌ تجري  
على الماءِ القُراحِ بإذنِ الله فيقول :

والنَّيْلُ في تياره المن  
وبه السفائنُ كالجب  
فركبتُ في صهواتها  
حرَّاقَةٌ تجري على اس

(م)

(م)

(م)

صبَّ مُهْتَرُ الصَّفَاخِ  
(م) الِ تخولُ أمثالَ القِدَاخِ  
دهماءُ ساكنةُ الجَمَاخِ  
م الله بالماءِ القُراحِ

ويبدو أنَّ اللهو والمجون على أمواج النيل، تغشياً مما حفَرَ الحاكم بأمر الله سنة ٤٠١هـ إلى أن يمنع الناس من الركوب في القوارب، في الخليج إلى القاهرة وشَدَّد في المنع، وأمر بِسَدِّ أبواب القاهرة التي يُنْطَلَق منها إلى الخليج (٣١١)

وكان للنيل أسطولٌ نهري، يُستخدَم في حمل غلات الدولة، يسميها ابن الطوير (٣١٢) بـ "الدماميس" جمع ديماس أو "ديتماس" برسم الخليفة، وبعض الموظفين الكبار، وكان من الأسطول أنواع أخرى، يسمي بعضها بـ "الشذوات" جمع "شذات" ويَسمي بعضها الآخر "السُميريات" جمع "سميرية" تستعمل في نقل المؤن والعساكر في الأنهار، وتَمَّة نوع آخر للسفر، من منطقة إلى أخرى عبر نهر النيل يسمي "علابيات" و"حمائم" و"سنابك" فكانت معروفة منذ عهد احمد بن طولون، وتسير في النيل.

وتحدَّث ابن جُبَيْر (٣١٣) الرحالة لما زار صلاح الدين في مصرَ عن "جلاب" التي كانت تبني بطريقة عجيبة، لا يُستعمل فيها مسمار قط، وكانت هذه المراكب تُحمَل على الإبل، لخفتها وتُسِيرُ بالمجاديف أو الشراخ (٣١٤)

أمَّا سُفُنُ الجلاب فكانت مخصصة للتنقل في البحر الأحمر "الْقَلْزَم" من أيلة "العقبة" إلى "عِيذاب" مقابل جَدَّة على الشاطئ المصري المقابل، ولم يكن يُستخدَم فيها أي مسمار، لظَنُّهم أن في البحر الأحمر مغناطيس يجذبها فتغرق، وعلى الرغم من خطأ المعلومة هذه، فقد كان لها فائدة اعتمادهم على تصنيع بديل عن المسمار لأنه غالي السَّعر، وبعيدُ المنال، فخيَّطوا سُفُنَهم، بأمراس من القنبار، وهو قشرُ شجر النارجيل؛ يدوسونه إلى أن يتخَبَّط، ويقتلون به أمراساً، يخيَّطون المراكب ويخلَّلونها بِدُسُر، من عيدان النخل، ثم يسقونها بالسمن، أو بدهن الخروج، وهو أحسنها، ومقصدهم بالدهان أن يلبِّن العود، ويرطب، لكثرة الشَّعاب المعترضة، في هذا البحر "الْقَلْزَم" وقد علَّل المسعودي عدم استخدام المركب المسماري في بحر القلزم (الأحمر) لأنَّ ماء البحر، يذيب الحديد فتترقُّ المسامير، وتضعف، فأخذت السفن من ألواح الساج المثقبة والمحنطة بليف النارجيل، بدلاً من المسمامير ثم طليت بالشُّحوم والنُّورة (٣١٥) وكان لسفن البحر الأحمر، مواصفات خاصة، فمنها أنه لا يُسافرُ بها ليلاً، وكان يُحمَلُ إلى خليج "ايلات" الخشب ثم تصمَّم السفنُ فيه، من ثم يسافرُ؛ بها ذلك ما فعله أرناط حاكم الكرك (٣١٦).

وقد شاهد ابن بطوطة، صعوبة السير في تلك البحار، ومنها البحر الأحمر "القلزم" فقال فيه "وهذا البحر لا يُسافرُ فيه بالليل، لكثرة أحجاره، وإنما يسافرون من طلوع الشمس إلى غروبها، ويرسوْنَ وينزلون إلى البر، فإذا كان الصباح صعدوا إلى المركب، وهم يسمون رئيس المركب "الرُّبَّان" ولا يزال أبداً في مقدم المركب، ينبَّه صاحب السكان، على الأحجار وهم يسمونها البنات" (٣١٧)

ويذكر ابن الأثير في أحداث سنة ٥٧٨هـ، أن اليرنس صاحب الكرك، جمع قطع أسطوله من الخشب، وسار بها براً إلى خليج أيلة "العقبة" وجمعها هناك وشحنها بالمقاتلة، وسيَّرها إلى عِيذاب، وأفسدوا في الساحل المصري، ثم اتجهوا إلى جدة، وذهبوا براً إلى الحجاز، لمنع الحجاج، من تأدية مناسكهم في مكة وزيارة مسجد رسول الله هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد ضيقوا على المسلمين في أيلة ومنعواهم من ورود الماء، فما كان من صلاح الدين إلا أن أمرَ حاكم عِيذاب بطرد الفرنجة، فأرسل قائداً له يدعى لؤلؤة، فجَهَّز أسطولا؛ أنقذ المسلمين من هجمات الفرنجة في بَرِّ الحجاز، وضحى منهم في منى عدداً وأسر آخرين فنبحهم في مصر (٣١٨)

وأبرزَ الشعرُ الفاطمي موضوعاتٍ متعددة، نوجزها في المخطط التالي:

(٤) (٥) (٦) (٧)

شعر قصصي وصف أطعمة وصف سباحة في النيل غزل بمتنزهة سوداء

(١) (٢)

وصف رحلة بحرية احتفال بكسر الخليج

(٣) (٨)

الاستهداء والرد الرسائل دعابة

شاعر في وصف منزله

(١)

ومن موضوعاتهم الشعرية وصفهم رحلة بحرية في نهر النيل؛ ذلك ما خلّدتَه قصيدةُ تميم بن المُعِزّ، يوم ارتحل من حُلوان إلى نهر النيل، بمركب أدهم، يسير على جناح الرّيح، أسودُّ لونه كزنجية، لكنَّ أكاليله من الأمواج، كانت رحلته ضحاً يتلأل النيل فيه كسيف صقيل، ولما هبت على مركبه ريح الصّبا، تماوج يَمَنُهُ وَيَسْرُهُ، وبدا كدرع على مهاد الأرض، أو مثل حُبكِ مرصّع بالجوهر، يبدو متأثراً في وصف البحري لبركة المتوكل فيقول: (٣١٩)

يا حَبِذا حُلوانُ فالنَّيلُ

رُحْتُ ومركبي به أدهمُ

كأنَّه في النَّيلِ زَنْجِيَّةٌ

والنَّيلُ في رونقِ شمس الضّ

حتى إذا ما دَرَجَتْهُ الصَّبا

فهو لمن أبصره جَوْشَنُ

أَوْ حُبُّكَ تَرْصِيعُهُ جَوْهَرُ

(م)

رَبُّعٌ بِحَسَنِ اللّٰهُوْ مَأْهُولُ  
عَلَى جَنَاحٍ لِلرَّيْحِ مَحْمُولُ  
لَهَا مِنْ الْمَوْجِ أَكَالِيلُ  
حَى، سَيْفٌ مِنْ صَبَقٍ وَالْمَتْنُ مَسْلُولُ  
مَاجَ مِنْهُ الْعَرَضُ وَالطُّولُ  
عَلَى مِهَادِ الْأَرْضِ مَسْلُولُ  
مُبَدَّدٌ فِيهِنَّ مُحْلُولُ

(٢)

والاحتفال بكسر الخليج، ظاهرة أبرز الشعرُ أهمية كسر يوم الخليج، وهيئة الخليفة بجلسته في خيمة كبيرة، غربي النيل،  
قرب قنطرة السكر، فيتقدم إليه أحد رجاله، ويُسمى النائب، ويقدم الشعراء حسب منازلهم، وينقد شعرهم فتقدم شاعرٌ  
يدعى ابن جبر وأنشد لهذه المناسبة فقال: (٣٢٠)

فُتِحَ الْخَلِيجُ فَسَالَ مِنْهُ الْمَاءُ

وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ لَنَا فَكَانَتْهُ

وَعَلَتْ عَلَيْهِ الرَّايَةُ الْبِيضَاءُ

كَفُّ الْإِمَامِ فَعَرَفُهَا إِعْطَاءُ

فَانْتَقَدَ النَّاسُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ " فَسَالَ مِنْهُ الْمَاءُ " وَقَالُوا أَيُّ شَيْءٍ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ غَيْرُ الْمَاءِ؟ فَضَيَّعَ مَا قَالَهُ بَعْدَ هَذَا الْمَطْلَعِ.

وَتَقَدَّمَ شَاعِرٌ يُقَالُ لَهُ مَسْعُودُ الدَّوْلَةِ بْنِ جَرِيرٍ وَأَنْشَدَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فَقَالَ:

مَا زَالَ هَذَا السَّدُّ يَنْظُرُ فَتَحَهُ

حَتَّى إِذَا بَرَزَ الْإِمَامُ بَوَاجِهِ

فَجَرَى كَأَنُّ قَدْ دَبِيفَ فِيهِ عُنْبُرٌ

إِذْنُ الْخَلِيفَةِ بِالنَّوَالِ الْمُرْسَلِ

وَسَطًا عَلَيْهِ كُلُّ حَامِلٍ مِعْوَلٍ

يَعْلُوهُ كَافُورٌ بِطَنْبِ الْمُنْدَلِ

فَانْتَقَدُوهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، وَقَالُوا: أَهْلَكَ وَجْهَ الْإِمَامِ بِسَطَوَاتِ الْمِعَاوِلِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ! يَقْصِدُ فَتَحَ السَّدِّ بِالْمِعَاوِلِ، لَكِنَّ نَظْمَهُ كَانَ قَلْبًا.

وَتَقَدَّمَ شَاعِرٌ يَدْعَى كَافِي الدَّوْلَةِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ، فَأَنْشَدَ الْخَلِيفَةَ قَصِيدَةً ارْتَجَلَهَا، بِشَهَادَةِ الْقَاضِي ابْنِ الْأَثِيرِ، اسْتَحْسَنَهَا الْخَلِيفَةُ، وَكَافَاهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا مِنْهَا قَوْلُهُ:

لمن اجتماع الناس في ذا المشهد  
أم لاجتماعكما معاً في موطنٍ  
ليس اجتماع الخلق إلا للذي  
شكروا لكل منكما لوفائيه  
ولئن إذا أعتد الوفاء فقبله  
هذا يفي ويعود ينقص تارة  
وقواه إن بلغ النهاية قصرت  
فالآن قد ضاقت مسالك سعيه  
فإذا أردت صلاحه فافتح له  
وأمر بفصد العرق منه فما شكا  
واسلم إلى أمثال يومك هكذا

للنيل أم لك يا ابن بنت محمد؟  
وافيتما فيه لأصدق موعدٍ  
حاز الفضيلة منكما في المولد  
بالسعي لكن مئيل هم للأجود  
بالقصد ليس له كمن لم يقصد  
وتسُد أنت النقص إن لم يزد  
وإذا بلغت إلى النهاية تبتدي  
بالسد فهو به بحال مقيد  
ليرى جناباً مخصباً ويرى ندي  
جسم فصَح الجسم إن لم يُفصد  
في عيش مغبوط وعز مخلد (٣٢١)

فتلحظ من هذه النصوص، محاكمة الشعراء ونقدهم، بحضرة الخليفة، وأهل اللسان والفصاحة، كما تلحظ توجيهاتهم النقدية للشعراء، وتبيين محاسن القصائد ومساوئها، فلا غروى إذا فهم أمام خلفاء ووزراء امتازوا بالبلاغة، وتحتاج الجائزة إلى شهادة أهل الاختصاص، كما نالها كافي الدولة، بعد أن قال على البديهيّة قصيدة عن كرم الخليفة الذي تفوق على كرم النيل، وإن كان كل منهما كريماً عن قصد ودون قصد.

(٣)

الاستهداء والردّ الرسائل

وابرز الشعر الفاطمي، علاقات اجتماعية طيبة، بين الشاعر أبي عبد الله الحسين، والأمير تميم بن المعز، إذ استهدى الشاعر من الأمير عرساً من زهر بستانه، فأجابه الأمير إلى طلبه، فكتب الشاعر إلى تميم الأمير يقول له: (٣٢٢)

وصلت هديتك التي أرسلتها  
فحكّت لنا طيباً خلايقك التي  
فاسلم وعش فيما تحب فإنه  
هي جوهر في البيت إلا أنّها

يا سيّد الكبراء والأمراء  
أورثتها من رابع الخلفاء  
وقف عليك الدهر دُرُ ثنائي  
تفنى ويبقى جوهر الشعراء

فأجابه الأمير تميم بقوله: (٣٢٣)

أما الرياض فإنّها مسروقة

إني بعثتُ بها إليك وإنها  
كالشيء يستهديه مني ربه  
مَنك استعادي الحُسْنُ كُلَّ مُحَسِّنٍ  
وَطَرُفَتْ حَتَّى فُقَّتْ كُلُّ مُظَرَّفٍ  
ديباج لفظك فوق كُلِّ منوّرٍ

للبيتِ من الفاظك الغراء  
لذواتِ إطراق وذاتِ حياءٍ  
أنتَ الأحقُّ بها وبالإهداء  
فَلَكِ انتسابُ محاسنِ الأشياءِ  
وَلُطِفَتْ حَتَّى فُقَّتْ لُطْفَ الماءِ  
لكنَّ خيراً منه حُسْنُ صفاءِ

\*\*\*

ففي النَّصِيْنِ تلحظُ استهداءَ غرسِ زهر، من حديقة الأمير، تميم بن الخليفة الرابع، المُعِزِّ لدين الله، وفيها إخوانية، ترتفع الكلفة بين شاعر وأمير، وفيها مراسلة شعرية بينهما، تدل على خلق كريم من أمير البيان والسنان.

(٤)

الشعر القصصي

وبررَّ من الشعراء الذين أدركوا العصر الفاطمي، من انماز شعره بالقصصية، منهم الشاعر أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني، أعجوبة الزمان ونادرته، وفريد عصره، وباقعته (خالص اللون) وهو أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء، وكان في زمانه كابن الرُّومي في أوانه (٣٢٤) إذ هجا منشأ بن إبراهيم اليهودي، بقصيدتين، أشرتُ إلى إحداهما فيما سبق من الدراسة، وهاهو يصف بأسلوب قصي، ما جرى عليه في دعوة أقامها في



قرية حرابا من أعمال دمشق في قصيدة مطوال، بلغت بيتاً ومائتين، يُبرِزُ فيها نَدَمُهُ على دعوة قِران دعا إليها، فخر فيها زروعَه ودجاجَه وخمرَه، وكلُّ ما يملكه؛ لأنه دعا قوماً؛ فاستجاب لدعوته أجناسُ البشر؛ إذ جَمَعوا لدعوته جموعَهم من رُوم وصقالب وترك وبلغار ومن هند ومن أهل " طسم" وبربر، وكيلحوج وبلقان، بل اجتمع عليه من كلِّ مسلم نصراني، فماذا يكفيهم من طعام؟ لقد وقع في ورطة، يتندَّم عليها، في بداية قصيدته القصصية، التي نكتفي بمقطع ندمه أولاً في مقدمته، وحشود الضيوف عليه منها ثانياً:

فها هو يعرضُ ورطته في دعوته من بداية قصيدته بمقطع يُظهرُ ندمه على تلك الدعوة فيقول:

مَنْ لعينٍ تجودُ بالهمَلان  
يا خليلي اقصرِا عن مَلامي  
ومتى ما ذكرتُ دعوةً أولاً  
فانتفا لحيتي وجُزاً سبالي  
مالذي ساقني لحيني إلى حتفي؟  
من عذيري من دعوةٍ أوهنتُ عظمي  
كنتُ في منظرٍ ومستمتعٍ عنها

ولقلبٍ مُدْلِه حيران  
وارثيا لي من نكيتي وارحماني  
د البغايا والعاهرات الزواني  
وبنعلِ الكنيفِ فاستقبلاني  
وما غالني؟ وماذا دهاني؟  
وهَدَّتْ بهولها أركانِي؟  
ومن ذا يغيّرُ بالحدَثان؟

وينتقلُ في المقطع التالي إلى حشود أمم أخرى، اجتاحتَه لدعوته يُعدُّ منها على كثرتها ولا يعدّها، فأكلت ما عنده من أخضرٍ ويابس، فها هو يدعو الناسَ إلى رثائه:

فَارِثُوا لِي يَا مَعْشَرَ النَّاسِ مِنْ ضُرِّ  
ضَرْبِ الْبُوقِ فِي دِمَشْقَ وَنَادُوا  
النَّفِيرَ النَّفِيرَ بِالْخَيْلِ وَالرُّ  
جَمَعُوا لِي الْجَمُوعَ مِنْ خَيْلِ جَيْلَا  
وَمِنْ الرُّومِ وَالصَّقَالِبِ وَالثُّرُ  
وَمِنْ الْهِنْدِ وَالطَّمَّاسِمِ وَالْبَرْبَرِ  
لَمْ يُبْقُوا مِمَّنْ عَدَدْتُ مِنَ الْأَفَاقِ  
وَالْبُوَادِي مِنَ الْحَجَازِ إِلَى نَجْدٍ

(م)

(م)

ي وَمِنْ طُولِ عُطْلَتِي وَامْتِحَانِي  
لِشِقَائِي فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ  
جَلَّ إِلَى فَقْرٍ ذَا الْفَتَى الْوَاسَانِي  
نِ وَفَرُغَانَةَ إِلَى دَيْلَمَانَ  
كَ وَخَلْقًا مِنْ بَلْعَرِ وَاللَّانِ  
وَالْكِلْجُوحِ وَالْبِيلْقَانِ  
مِنْ مُسْلِمٍ وَلَا نَصْرَانِي  
مَعْدِيهَا مَعَ الْقَحْطَانِي

وهذه الحشود المتضامّة على تلك الدعوة، التي كأنما ضُربَ لها بالطبول النفير إليها، لبّاهّا صيحاخ الأجسام وأصحاب العاهات:

كُلُّ ضَرْبٍ فَمِنْ طَوَالٍ وَمِنْ حُدِّ  
وشيوخٍ مثلِ الفراخِ وشيئاً

(م)

(م)

بِ قِصَارٍ وَالْحَوْلِ وَالْعُورَانِ  
بِ رَحَابِ الْأَشْدَاقِ وَالْمُصْرَانِ

هذا النفيرُ المتضامُّ إليه تجمّعهم وحدةً مشتركة هي الجوع القديم، إذ هم لم يأكلوا منذ شهر، وأسنانهم حادة:

مَعْدٌ جَوَعَتْ ثَلَاثِينَ يَوْماً

مِنْ مَرْتَدٍّ وَمِنْ تَكِينٍ وَطُرٍّ

رَحَلُوا مِنْ بَيْوتِهِمْ لَيْلَةَ الْمَرِّ

بِسِلَاحٍ شَالِكٍ مِنَ الْأَسْنَانِ

خَانٍ وَكِسْرَى وَخُرْدٍ وَطِعَانِ

فَعِ مِنْ أَجْلِ أَكْلِهَا أَكْلُهُ مَجَان

والقصيدة قصصية طريفة، ملأى بالنقد الاجتماعي، والسياسي، تبرز معاناة الشاعر، و تنتهي بتعليقه مشبوحاً في سقف بيته ومدّه بالعامية " فلكة" من زمرة سكرى، جزاء وفاقاً على دعوته، ممّا زاده في جرحه عمقاً وأسى منها قوله:

عَلَّقُونِي بِفَرْدِ رَجُلٍ إِلَى السَّقْفِ

لو رأني أبي وأميُّ على رأسي

بكيا لي من ذاك واشترياني

وَعُذِّبْتُ لِيلَتِي بِالدُّخَانِ

ورجلاي بالعصا تنقران

من يديهم بِكُلِّ ما يملكان

والقصيدة قصصية ممتعة، على مشاهد، لا يسعني جَهدِي في تحليلها كاملة أو الإشارة إلى كل مقاطعها، فنترك للدراسة الشأن ممن يفيدون منها إن رغبوا.

(٥)

هَجَاءُ أَصْحَابِ مِهْنٍ

وأفرزَ الشَّعْرُ الفاطميُّ هَجَاءَ أَصْحَابِ مِهْنٍ، ونستشهدُ على ذلك بمغْنٍ مهجو وقاضٍ.

أَمَّا المَغْنِيُّ مهجواً فتناولهُ الشاعر الصَّقْلِيُّ (٣٢٥) إذ ذَمَّ سماجةَ صوتهِ وخُلُقَتَهُ، فهو يغني ما يشتهي، لا ما يشتهيهِ المستمعون، وكلُّما طلب من مستمعيه، أن يغنيَ لهم ما يطلبون تَمَنَّى عليه الشاعر لو يسكت فيقول:

ومغْنٌ لو تَغْنَى

سَمِعُ الْخَلْقَةِ عَثُّ

وَيَغْنِي مَا اشْتَهَاهُ

كُلَّمَا قَالَ اقْتَرَحْ

لَكَ صَوْتَيْنِ لِمَنَّا

يُنْحَتُ الْأَذَانُ نَحْنًا

لَا يَغْنِي مَا أَرَدْنَا

قُلْتُ اقْتَرَا حِي لَوْ سَكْنَا

ويهجو مغنياً ذا صوتٍ قبيح، كأنما يصيح في خابية، كلُّ من يسمعه مرة لا يحبُّ أن يسمعه ثانية:

غَنَّى كَمَنْ صَاخَ فِي خَابِيهِ

مَا أَجْدُ مَنْ يَسْمَعُهُ مَرَّةً

لَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُ الْعَافِيَهُ

فِي شَتَّى يَسْمَعُهُ ثَانِيَهُ

أَمَّا هَجَاءُ الْخَلْقِ، واسمه مسعود، فإنَّ من يخلقُ رأسه عنده مرة، فالإيه لن يعود؛ لأنه يكونُ قد سَلَخَ رَأْسَهُ، وَمَنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يَنْبَتَ الشَّعْرَ بَعْدَ سَلْخِهِ؟ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ ظَافِرُ الْحَدَادِ. (٣٢٦)

لَا أَسْعَدَ اللَّهُ مَسْعُودًا فَصَنَعْتُهُ

لا يخلقُ الرأسَ إلا مرَّةً وبها  
لأنَّ أطفَ لَمَسٍ من أنامله  
فلو نوى حَلَقَ شَعْرٍ في ضمائرِه

كوجَّهه كلُّ مُنْجٍ مِنْهُ محتَضِرُ  
تغنيهِ عن عودَةٍ ما مدَّه العُمُرُ  
سلَّحْ، وهل بعدَ سلخٍ يَنْبُتُ الشَّعْرُ؟  
بفطنةٍ كادمتُهُ المَخُ يَنْتَشِرُ

وبعضُ الشعراءِ تناولَ هجاءَ القضاةِ، لظُلْمِهِم في أحكامِهِم، أو لميلِهِم عن الهوى، أو لتقاضِيهِم الرشاوى، ذلك ما أبرزه  
الشاعرُ أبو الشرفِ الدجرجاوي عن قاضٍ، كان لا يفصلُ بين المتخاصمين، إذ كُلُّما انفصلَ الخصمان، رَدَّهما إلى  
التقاضي من جديد، منافق، مظهرُهُ غيرُ مخبرِهِ، يبيدُ الزُّهدَ في الدنيا، ويَقْبَلُ سِرّاً بَعْرَةَ الجمل، يُظهرُ التَّنَسُّكَ وكثرةَ  
التَّهْلِيلِ، ولكنه لا يلتزمُ التَّهْلِيلَ في تنفيذِ الحقِّ لأصحابِهِ، فهو من الذين يقولون ما لا يفعلون، وضربَ عن اسمه صفحاً، إذ  
إنَّ سَمائِهِ تغني عن ذكره: (٣٢٧)

قاضٍ إذا انفصلَ الخصمان رَدَّهما  
يبيدُ الزُّهَادَةَ في الدُّنيا وزُخْرِفِها  
مهلُّ الدَّهرَ لا في وقتِ هيللةٍ  
وما أسمى لكَني نَعْتُ لُكُم

إلى الخصام بحكمٍ غيرِ مُنفَصِلِ  
جَهراً وَيَقْبَلُ سِرّاً بَعْرَةَ الجَمَلِ

وَيَلْزُمُ الصَّمْتِ وَقْتَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

نَصّاً أَذْلَكُمْ فِيهِ عَلَى الرَّجُلِ

(٦)

وصف الأطعمة

وأبرزَ الشعرُ الفاطميُّ وصفَ الأطعمةِ شأنُ الشاعرِ ظافرِ الحدادِ الذي وصفَ الكنافةَ، بعجينها المبسوط فوق النار، يتصاعدُ البخارُ منها، كأنَّه غيمٌ سحاب، وتنتفحُ الفواقع ذراتٍ من الكنافة، يسرُّ العينَ منظرُها ولا تشبعُ منها: (٣٢٨)

وحاذقٍ مُحْكِمٍ كِنَافَتُهُ

كَأَنَّمَا بَسْطُهُ الْعَجِينَ عَلَى

يُنْسِجُ غَيْمًا مِنَ السَّحَابِ عَلَى

كَأَنَّهُ يَفْتَحُ الْفَوَاقِعَ ذَرَاتٍ

لَا تَشْبَعُ الْعَيْنُ مِنْهُ بِالنَّظَرِ

أَكْرَاهُ لَمَّا حَقَّتْ بِمُسْتَعْرِ

وَامِضٍ بَرَقَ يَكْتَنُّ بِالْمَطَرِ

عَلَى رَاكِدٍ مِنَ الْعُدْرِ

ولعلَّه أَلَمَ بِتَشْبِيهِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي صَانِعِ رِقَاقٍ وَزَلَابِيَّةٍ (٣٢٩)

(٧)

وصف السابحات في النيل

ويصفُ ابنُ الحَدادِ السابحاتِ الحسانِ في نهرِ النيلِ أصيلاً ويغازلنه بغمرة العين، أَرْدافُهُنَّ ثَقِيلَةٌ تَخْتَفِي حِيناً، وتظهر بين الأمواج، حيناً آخر أجساد كالماء رَفَّةً فوق الماء، يعافُ الماءُ الأجاج، ويتوق إلى الماءِ الرقراق، أجسادِ الحسان، المتمايسة القَدَّ الأهيف الرشيق، المتمايس بالموج، تمايسَ الغصن بهزات الرياح؛ أجساد ممشوقة تختفي حيناً في أمواج البحر وتظهر حيناً فيقول: (٣٣٠)

وَأصالُنا في ساحلِ البحرِ نعتلي

تغازُلُ من غزالنهِ كلَّ سابحٍ

حَكَتْ بَيْنَنا الأمواجُ أثقالَ رَدْفَةٍ

هو الماءُ فوقَ الماءِ هذا نعاْفُهُ

إذا قابلَ التَّيارُ هَيْفَ قُدودِها

به الرَّمْلُ ما بين الكثيفِ إلى الوَهْدِ

لَهُ مقلَّةٌ عادَتُها قَنَصُ الأسدِ

فأَوْنَةُ تخفى وأَوْنَةُ تُبْدي

أجاجاً وهذا فيه أحلى من الشَّهْدِ

أرْتنا فِعالَ الرِّيحِ بالقُضْبِ المُدِّ

(٨)

غزله بمنتزه سوداء

ولأبي الفتح منصور المعروف بالبيني قصيدة غزلية تجارية سوداء لقيها تنتزه بالمقس فتبعها وفجر بها كما في قصيدته التي أدرجها المسبحي: (٣٣١)

وغزالةٍ غازلْتُها



نظرت بعيني ظبية  
وتبسمت فكانها برق  
ثمت مشت مشي المها  
حتى وصلنا بيئها  
كانت لعمرى ساعة

في المقس من أولاد حام  
ونظرت من عيني قطام  
تألق في غمام  
وتبعثها رتاك النعام  
فحصلت في البيت الحرام  
جمعت غراباً مع حمام

(٩)

دعابة شاعر في وصف منزله

وأبرز ابن مكنسة؛ أبو طاهر إسماعيل بن محمد السكندري، دعابة وهو يكشف بيئته من داخله، فيدخل المتلقي معه، ليرى بيتاً مهلهلاً قذراً، تصول فيه بنات وردان من خنافس وزواحف وتصول، والشاعر في بيته -إن صحَّ أن يُطلق عليه بيت- كفاة في بيت خلاء، والعنكبوت بيت واهن، يعادل عقل الشاعر بجامع الضعف، سرواله عفن ينبعث منه ما لا يحمد شمه، إن عثت به الرياح، بيت لا تدخله بقعة الشمس، إلا نادراً، فكأنما هي عن بيته في كسوف دائم.

لقد كره الشاعر بيته، إذ لو كان كعبة لما طاف حولها، ثم يطلب من ممدوحه أن يوسع عليه، ويُفدّه من معاناته فيقول:  
(٣٣٢)

لي بيت كأنه بيت شعر

ضا يَفْتَنِي بَنَاتُ وَرْدَانَ حَتَّى  
أَيْنَ لِلْعَنُكُوتِ بَيْتٌ ضَعِيفٌ  
وَإِذَا هَبَّتْ فِيهِ رِيحُ السَّرَاوِيلِ  
بِقَعَّةٍ صَدَّ مَطْلِعُ الشَّمْسِ عَنْهَا  
وَهُوَ لَوْ كَانَ بَيْنَ حَجِّي وَنَسْكِ  
أَنْتَ وَسَعَتِ بَيْتَ مَالِي فَوْسَعُ  
وَأَجْرَنِي مِنَ الضَّنَى وَأَجْرَنِي مِنْكَ فِي

لَا بِنَ حَجَّاجٍ مِنْ قَصِيدِ سَخِيفٍ  
أَنَا فِيهِ كَفَّارَةٌ فِي كَنِيفٍ  
مِثْلُهُ، وَهُوَ مِثْلُ عَقْلِي الضَّعِيفِ  
فَسَلَّمَ عَلَى اللَّحَى وَالْأَنْوَفِ  
فَأَنَا مُذْ سَكَنْتُهَا فِي الْكُسُوفِ  
صَدَّ فِي بَغْضِهِ عَنِ التَّطْوِيفِ  
مَنْزَلِي فَهُوَ مَنْزِلٌ لِلضُّيُوفِ  
حُسْنِ خُلُقِكَ الْمَالُوفِ